عِلماً وتصورّ َتَه حقّ َ تصورهِ فعليك صاحَبكَ واشدُدْ به يدَكَ فهو ضالّ َتُك وعنده بُغْيَتُكَ وطريقُه طريق قولك : هل سمعتَ بالأسدِ وهل تعرفُ ما هو فإن كنت تعرفُه فزيدٌ هوَ هوَ بعينه .

ويزدادُ هذا المعنى ظهوراً بأن تكونَ الصفةُ التي تريدُ الإخبارَ بها عن المبتدأ مُجراةً على موصوفٍ كقولِ ابنِ الرومي - الطويل ٍ - : .

(هُوَ الرّ َجُلُ المشْرُوكُ في جُلّ ِ مالِهِ ... ولكنّ َهُ بالمَجْدِ والحَمَدِ مُفْرَدُ) .

تقديرُه كأنه يقولُ للسامع : فكّ ِر في رجُلٍ لا يتميّ َز عُفاتُه وجيرانُه ومعارفُه عنْهُ في مالِه وأخْذِ ما شاؤوا منه . فإذا حصّ َلتَ صورتَه في نفسك فاعلمْ أنه ذلك الرجلُ . وهذا فنٌّ عجيبُ الشأن وله مكانٌ من الفَخامةِ والنّ ُبلِ وهو مِنْ سحرِ البيانِ الذي تقْصرُ العبارةُ عن تأديةِ حقّ ِه والمُعوّ َلُ فيه على مراجعةِ النفسِ واستقصاءِ التأمّ ُل . فإذا علمتَ أنه لا يريدُ بقوله : الرجلُ المشروكُ في جُلّ ِ مالهِ أن يقول هو الذي بلغك حديثه وعرفت من حاله وقصته أنه يشرك في جل ماله على حدّ ِ قولك : هو الرجُل الذي بلغَك أنه أنفقَ كذا والذي وهبَ المئة المصطفاةَ من الإبل . ولا أنْ يقولَ إنه على معنى : " هو الكاملُ في هذه الصفة حتّى كأنّ َ هاهنا أقواماً يُشْركون في جلّ ِ أموالهم إلاّ أنه في ذلك أكملُ وأتم " لأن ذلك لا يتُصوّ َر . وذاك أن كَوْنَ الرجل بحيث يُشْرَكُ في جلّ ِ ماله ليس بمعنى يقعُ فيه تفاضُلٌ . كما أن بذلَ الرجل كلّ َ ما يملك كذلك ولو قيلَ : الذي يُشْرَكُ في ماله جازَ أن يتفاوتَ . وإذا كان كذلك علمتَ أنه معنًى ثالثٌ وليس إلاّ ما أشرتَ إليه من أنه يقولُ َ للمخاطب : ضعْ في نفسِكَ معنى قولك " رجلٌ مشروك في جلّ ِ مالهِ " . ثم تأمّل فلاناً فإنك تَسْتملي هذه الصورةَ منه وتجدُه يؤدّ ِيها لك نصّاً ويأتيك بها كَمَلاً . وإن أردتَ أن تسمعَ في هذا المعنى ما تسكنُ النفسُ إليه سكونَ الصّ َادي إلى بَرَدِ الماءِ فاسمعْ قوله - الطويل - : .

(أنَا الرّ َجُلُ المدّ ْعُوّ ُ عاشِقَ فَقْرِهِ ... إذا لم تُكارِمْني صُروفُ زَمَاني)